وثيقة عهد السلطان المؤيد

أبي الفتح احمد بن الملك الأشرف أبي النصر أينال العلائي الظاهري

(٨٦٥هـ - ١٤٦٠م)

دراسة ونشر وتحقيق

الدكتور
نبيل محمد عبد العزيز احمد
كلية الآداب - جامعة أسيوط

١٩٨١

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

تصدير

من المعروف أن كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الأنشا » للقلقشندى يضم أكبر مجموعة من العهود الخاصة بسلاطين المماليك ، الصادرة عن ديوان الأنشاء . ولما كان القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » قد توقف عند حد سنة (٨١٥ ﻫ / ١٤١٢م) — فإن آخر عهد أورده هو ذلك العهد الذى كتب به محمد بن البارزى الحموى ، صاحب دواوين الأنشا بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية ، عهد السلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ ، عن الخليفة المستعين بالله أبى الفضل العباس فى شعبان من السنة المذكورة تحتم أن ، يصادف المشتغل بدراسة تاريخ المماليك صعوبة كبيرة فى العثور على وثائق العهود الخاصة بسلاطين المماليك، بقية القرن التاسع وأوائل القرن العاشر للهجرة ، حتى سقوط هذه الدولة فى سنة (٩٢٣ﻫ/١٥١٧م) .

ومن هنا تبرز أهمية وثيقة عهد السلطان الملك المؤيد أحمد بن أينال ، الذى كتب به وقرأه بين يدى هـــذا السلطان ، القاضى محب الدين بن الشحنة الحنفى ، ناظر ديوان الأنشا بالديار المصرية ، عن الخليفة المستنجد بالله يوسف بن محمد ، فى جمادى الأولى من سنة (٨٦٥ﻫ/ ١٤٦٠ م) ، والتى ننشرها ونقدمها للباحثين .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ؟

د . نبيل عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا - ترجمة السلطان المؤيد احمد

هو السلطان الملك المؤيد أبى النصر شهاب الدين أحمد بن الملك الأشرف أبى النصر أينال العلائى الظاهرى الجركسى (ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م) .

يقال إنه ينتمى للملك الظاهر بيبرس من جهة أمه ، فأمه زينب ابنة خاص بك ، وإنه (ولد فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بغزة ، حين كان أبوه بها وهو أمير عشرين ، ونشأ فقرأ عند العلاء الغزى وغيره ، وترقى فى حياة أبيه)(١) .

---

(١) السخاوى : الضوء ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ . كذا أنظـــر : ابن اياس : بدائع ،
جـ٢ ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠، سنة ٨٦٥ هـ . هذا والمعروف أن المقام الشهابى أحمد بن اينال،
هو الذى حمل القبة والطير فوق رأس أبيه ، وأن أباه قد أقره فى سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ،
اتابكا لعساكره عوضا عن نفسه ، ولكنه ما لبث أن خلعه عنها بالامير تنبك البردبكى
وأنعم عليه بدلا منها بامرة مائة وتقدمه ألف ـ على عادة أولاد السلاطين ـ وجعـــله
رأس ميسرته ، (وهذا أول وهن وقع فى دولة الاشرف أينال ، من كونه يولى ولده أتابكا
فى الامس ، ثم يعزله فى الغد من غير أمر يقتضى ذلك ، ولو صمم على بقاء ولاية ولده
لتم له ذلك) . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص٦٢، سنة ٨٥٧ هـ . ثم كان أن
خلع السلطان على ولده المقام أحمد باستقراره أمير حاج المحمل فى سنة (٨٦١هـ /
١٤٥٦ م) ثم أعاده فى السنة التالية الى الاتابكية.
راجع : النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٥٨ ، ٦٠ : ٦٢ ، سنة ٨٥٧ هـ ، ص ٧٣ ، سنة
٨٥٨ هـ ، ص١٠٤ ، سنة ٨٦١ هـ ، ص١٢٦ ، سنة ٨٦٢ هـ ، هذا ، ويذكر السخاوى
« التبر ، ص ٣٥ ، سنة ٨٤٦ هـ » أن سنة (٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م) قد استهلت ونائب
الاسكندرية الشهابى أحمد بن اينال .

وقد تسلطن ، المترجم له ، فى يوم الأربعاء ، رابع عشر جمادى الأولى سنة (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م) .

وصفة مبايعته : أنه لما أشرف أبوه الأشرف أينال على الموت ، طلع إليه صهره ، الأمير بردبك ، واجتمع بخوند زوجة السلطان ، (وذكر لها أن الأحوال فاسدة ، والأمور فى اضطراب ، ومن الرأى أن السلطان يعهد إلى ولده بالسلطنة، فدخلت خوند على السلطان وهو فى النزع ،وذكرت له ذاك ، فأمر باحضار الخليفة والقضاة الأربعة) (٢) .

وعليه ، نزل الزينى خشقدم الأحمدى الطواشى الساقى الظاهرى ، بطلب القضاه ، وهم :علم الدين صالح البلقينى الشافعى ،وسعد الدين الديرى الحنفى ، وحسام الدين بن حريز المالكى ، وعز الدين الحنبلى . بينما نزل غيره بطلب الخليفة المستنجد بالله يوسف بن محمد .

فبادر جميعهم وأرباب الدولة من أصحاب الحل والعقد بالطلوع إلى القلعة. فلما تكامل الحضور ، وجلسوا على قدر مراتبهم بدهليز الدهيشة — بينما كان المقام الأتابكى أحمد قد جلس فى صدر المجلس — دار الكلام بينهم حول سلطنة المقام أحمد ، لكون والده لم يعهد إليه قبل ذلك بالسلطنة (٣) .

---

(٢) ابن اياس : بدائع ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، سنة ٨٦٥ هـ .

(٣) المعروف انه بعد ان مرض السلطان أينال فى سنة (٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م) وأرجف بموته ، وطلع اليه اكابر الامراء (فتكلم معهم فى العهد لولده أحمد بالسلطنة من غير تصريح ، بل فى نوع النكر من ولده . ويقول ما معناه : ان ولده ليس كمن مضى من أولاد الملوك الصغار ، وان هذا رجل كامل يعرف ما يراد منه . وما أشبه هذا المعنى ، فصار هو يتكلم وجميع الامراء سكوت ... وانفض المجلس ثم عوفى بعد ذلك) . ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٦ ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ، سنة ٨٦٢ هـ ، هذا ، ولعل هذه الحرمة هى التى كانت تخيف أصحاب المطامع والاغراض الشخصية ، ومن ثم حاربوه بعد سلطنته . وأنظر : ابن تغرى بردى : النجوم : ج١٦ ، ص٢٣٥ ، سنة ٨٦٥ هـ .

فتكلم القاضى كاتب السر [٤] محب الدين ابن الشحنة الحنفى ، فى أن تكون ولاية أحمد فى السلطنة نيابة عن والده ، ثم استقلالا بعد وفاته . فلما لم يحسن قوله ببال الحاضرين ، نهضوا جميعاً ودخلوا إلى قاعة الدهيشة ، حيث يرقد السلطان أينال (ليسمعوا كلامه بالعهد لولده أحمد هذا ، فكلمه الأمير يونس الدوادار غير مرة فى معنى العهد ، وهو لا يستطيع الرد . وطال وقوف الجميع عنده ، وهو لا يتكلم ، فخرجوا إلى ولده المؤيد هذا ، وهو جالس بدهليز الدهيشة عند الشباك ، وعرفوه الحال ، ثم رجعوا إلى الملك الأشرف ثانياً ، وكرروا عليه السؤال ،وهو ساكت، إلىأن تكلم بعد حين، وقال باللغة التركية: « أغلم، أغلم» يعنى : « إبنى ، إبنى » فقال من حضر هذه إشارة بالعهد لولده، فإنه لايستطيع الكلام أكثر من هذا) [٥] . بمعنى أن السلطان قد قام فخلع نفسه بالمعنى .

وإذ تم ذلك ،خرج الجميع إلى دهليزالدهيشة،وانتدب كاتب السر ، محب الدين بن الشحنة ، ليقوم بتحليف الأمراء ، فحلف كل من حضر من جماعة الأمراء بالأيمان المؤكدة، (ولم ينهض أحدمنهم أن يورى فى يمينه ولا يدلس ، لأنهم أجانب فى معرفة ذلك ، وأيضاً الحلف له فطن ، وكاتب سره رجل عالم) . [٦]

ثم قام الخليفة المستنجد بالله ، فبايع المقام أحمد ، عوضاً عن أبيه ، وتلقب بالملك المؤيد .

---

(٤) يقول ابن شاهين : « زبدة ، ص ٩٨ » : (أما ناظر الانشاء الشريف ، فهو كاتب السر وكاتم السر ، يطلق فى حقه ناظر الانشاء ، وناظر دواوين الانشاء الشريف . لان بكل مملكة ديوان انشاء) كذا أنظر : المقريزى : خطط ، جـ٢ ص ٢٢٥.

(٥ ، ٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ، سنة ٨٦٥ هـ. وانظر : ابن اياس : بدائع ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ ، سنة ٨٦٥ هـ .

فلما تمت البيعة، أفيض عليه بشعار الملك، وهو : العمامة الحريرية السوداء، والجبة – الكلفتاة والقترى الأبيض — والسيف البداوى ، كما قدمت إليه فرس النوبة بسرج ذهب ، وكنبوش زركش [٧] فركب من باب حوش القلعة ، وسار حتى باب الدور السلطانية ، فتلقته الجاويشية والزردكاش خشقدم أمير سلاح —الذى رفع على رأسه القبة والطير— ثم مشت قدامه وبين يديه جميع الأمراء والأعيان ، إلا الخليفة ، فإنه ركب فرساً من خيل السلطان ، وسار به عن يمينه .

فلما دخل السلطان القصر ، ونزل عن فرسه ، وجلس على سرير الملك باس له جميع الأمراء الأرض ، ودقت له البشائر بالقلعة ، ثم نودى – فى الحال – بالدعاء له فى شوارع القاهرة . فارتفعت الأصوات داعية له ؛ فقد كان محبباً قليل الأذى [٨] .

ثم كان أن خلع السلطان على الخليفة : فوقانى حرير بوجهين أبيض وأخضر، بطرز وحش، وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وقرية ممبابة بالجيزة . أما الأمير خشقدم ، فبعد أن خلع عليه السلطان ، جعله أتابكه [٩] .

وفى صبيحة اليوم التالى لسلطنته ، وبعد أن خلع السلطان على جماعة كثيرة من الأمراء ، قام فتوجه إلى الدهيشة ، وجلس بالشباك المطل على الحوش ، وأمر منادا أن ينادى بين يديه ، بأن نفقة البيعة ، لكل واحد من

---

(٧) راجع : نبيل عبد العزيز : الخيل ، ص ٧٨ : ٩٣ .

(٨) راجع – مثلا – ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ١٠٤ ، سنة ٨٦١هـ، السخاوى : الضوء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ .

(٩) راجع : ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ ، سنة ٨٦٥ هـ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢١٩ – ٢٢٢ ، سنة ٨٦٥ هـ .

المماليك السلطانية مائة دينار ، فضجت الألسن بالدعاء له .

يجرى كل ذلك والسلطان أينال فى قيد الحياة ، إلى أن توفى فى اليوم الثانى من سلطنة إبنه (الخميس) (١٠) .

وفى يوم الخميس، ثالث عشر جمادى الآخرة ، كانت قراءة تقليد السلطان بالقصر الأبلق ، بين يديه ، وفى حضور القضاة الأربعة .

قرأه على العادة منشؤة ـ وقد جلس على كرسى ـ كاتب السر القاضى محب الدين بن الشحنة الحنفى .

فلما تمت القراءة ، قام السلطان فخلع على الخليفة فوقانى حرير بوجهين أخضر وأبيض ، بطرز زركش ، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، كما خلع على القضاة كوامل بعقـــــاب سمور ، وانفض الموكب (١١)

غير أن أمر السلطان مالبث أن أخذ فى الإنحطاط ، كونه قد أخذ فى إبعاد وجوه الناس عنه ، وأمسك وأبعد الأمراء والمماليك الأشرفية ، فى الوقت الذى قرب فيه : المؤيدية ، والأينالية ، والأمير بردبك الدوادار الثانى ، لكونه زوج أخته ومملوك أبيه ، وكان (لايعرف أحوال المملكة إلا بعد سلطنة أستاذه ، أيام الأمن والسعادة) (١٢) .

بمعنى أن السلطان المؤيد أحمد ، قد عدم قلة المساعدة ، بالقول والفعل .

---

(١٠) أنظر مراجع الحاشية السابقة .

(١١) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ ، سنة ٨٦٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٢٢٦ ، سنة ٨٦٥ هـ .

(١٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢٣١ ، سنة ٨٦٥ هـ .

وكلها أمور أفضت إلى عزله ، وتولية أتابكه خشقدم (١٣) .

وإذ خلع السلطان المؤيد أحمد على هذا النحو السريع - بعد أربعة أشهر وثلاثة أيام تقريباً - تأسف عليه الناس ؛ لكونه قد سار بسيرة حسنة ، وقمع أهل الفساد، وقضى على قطاع الطرق ، بجميع أقاليم مصر ، وأطمأنت النفوس بردعه لأفعال مماليك أبيه، وخضوعهم لإرادته .

ولولا ما كان فيه من تكبر واتهامه بمعاشرة الأحداث سراً ، لدامت سلطنته (لأنه كان ملكاً سيوسا ، فطنا ، عالى الهمة) (١٤) ، فضلا عن مزيد (عقله وخبرته بالأمور) (١٥) .

وإذ تولى خشقدم السلطنة ، رسم بتوجه المؤيد أحمد مقيداً إلى سجن الأسكندرية ، حتى إذا استهلت سنة (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م) رسم هذا السلطان بكسر قيده .

فلما مات خشقدم ، وتولى الظاهر تمربغا السلطنة ، رسم فى أول يوم من سلطنته باطلاق المؤيد أحمد من سجنه ، وسمح له فى السكنى فى أى بيت يشاء من بيوتات ثغر الأسكندرية ، وأن يحضر صلاة الجمعة والعيدين راكباً ، وأرسل إليه بخلعة وفرس بقماش ذهب (١٦) ، (وذلك ترضياً لخاطر طائفة الأينالية) (١٧) .

---

(١٣) عن تفصيل ذلك راجع : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢٢٣ : ٢٥٢ ، سنة ٨٦٥ ، ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٧٥ : ٣٧٧ ، سنة ٨٦٥ هـ .

(١٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢٤٩ ، سنة ٨٦٥ هـ . كذا أنظر : ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ ، سنة ٨٦٥ هـ .

(١٥) السخاوى : الضوء ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ .

(١٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٢٥٢ ، سنة ٨٧٢ هـ ، ابن اياس: بدائع ، جـ ٢ ، ص ٤٦٩ ، سنة ٨٧٢ هـ .

(١٧) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٦٩ ، سنة ٨٧٢ هـ .

وحينما تولى صهره المؤيد أحمد « الأشرف قايتباى » السلطنة ، زاد فى إكرامه ، وسمح له بالسفر . فلما حضر القاهرة ، تزوج الأمير الكبير يشبك من مهدى الدوادار من ابنته (١٨)

كذلك حدث فى عهد هذا السلطان أن استقر المؤيد أحمد — فى سنة (٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م) — فى مشيخة الشاذلية، (وكان يلقنهم الذكر ، ويحضر مجالسهم ، ومن يتوجه معه إلى بيته من جماعة الشاذلية يكرمهم بالأطعام ونحوه) (١٩) .

وأخيراً فى سنة (٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م) جاءت الأخبار من ثغر الأسكندرية ، بوفاة المؤيد أحمد ، وجيء بجثته إلى القاهرة ، حيث دفن عند أبيه . (٢٠)

---

(١٨) السخاوى : الضوء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ ٠ كذا أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢٥٢ ، سنة ٨٧٢ هـ ٠

(١٩) السخاوى : الضوء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ ٠

(٢٠) ابن اياس : بدائع ، جـ٣ ، ص ٢٤٧ ، سنة ٨٩٣ هـ ، كذا أنظر: السخاوى: الضوء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ ٠



صورة الورقة الأولى من العهد

ثانيا ــ نص العهد بالسلطنة[1] :

[١٢٣٤] الحمد لله رب العالمين

صورة عهد السلطان الملك[2] المؤيد أبى الفتح أحمد بن الملك الأشرف أبى النصر أينال ، إنشاء سيدنا ومولانا قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى ، ناظر ديوان الأنشاء الشريف بالديار المصرية .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد شريف ، تبسم ثغر ربيعه ، لما تنسم[3] فى جمادى[4] وروده ، وعقد منيف ، لا يحل لأحــد أن يحل عقوده ، ومحضر كريم ، أكرم الله حكامه وشهوده ، ومجلس عظيم ، ألزم الله الأمة أحكامه وعهوده .

من عبد الله ووليه ، وابن عم رسوله المصطفى وصفيه : المستنجد بالله أمير المؤمنين ، أعز الله ببقائه الدين ، إلى : مولانا السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد بن السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف أبى النصر

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية (رقم ٥٩ مجاميع) . وعن معانى العهد ، راجع ــ مثلا ــ : الخالدى : القصد الرفيع ، ق ١٨٧ ب ، القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ، ص ٣٤٨ .

(٢) جرت العادة على اطلاق لفظتى : السلطان والملك مقرونتين ، (لأن الملك لا يطلق الا على الولاية العامة . والسلطنة تطلق على أنواع الولايات) كما وان الاصطلاح اقتضى أن لا (تطلق هذه التسمية الا على من يكون فى ولايته ملوك ، فيكون ملك الملوك فيملك) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٩ ، ص ٣٩٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ، ص ١٢٥ .

(٣) أى الثغــر .

(٤) يقصد جمادى الاخرة من سنة (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م) .

أينال ، فتح الله له شرق المما لك ، وغربها ، وألان لطاعته الشريفة شديدها ، وأذال لدولته صعبها صدر عن إتفاق أهل الحل والعقد ، واختيار أرباب السير والتقسيم والنقد ، وتلا لسان الحال فى موكبه المشهود :

﴿ يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود ﴾[٥]

أما بعد[٦] : فالحمد لله الذى أيد المحمدية ، والدين الحنيف بأحمد ، ونصر العصابة[٧] الأحمدية والشرع الشريف بالملك المؤيد ، وأنال أحمد عباده أقصى مراده ، فيافوز من كان أحمد ، وأظهر فى سماء العدل شهاباً لا يزال سعده يتجدد ، وثبت أساس أركان الدولة الشريفة بملك أحكم بنيانها وشيد ، بسيفه المرهف[٨] ، ورمحه المثقف[٩] ، وسهمه الذى كم به مسدد .

[٢٣٤ ب] والحمد لله ، على ما منح من جميل الأنعام ، وفتح من إجماع كلمة أهل الإسلام ، على أحسن السياق ، وأكمل نظام ، وأجمل اتفاق تؤذن براعته بحسن الختام .

والحمد لله ، المنان على الإسلام والمسلمين ، بملك أصله فى الملك ثابت ، وفرع فى أرومة المجد نابت ، وكف بسعيد وجهه ، ومبارك قدمه يد كل عابث وعابث[١٠] ، وحكم سيوفه فى أعناق كل ناكب وناكث .

---

(٥) سورة المائدة ، اية (١) .

(٦) يلى هذه البعدية خطبة مبدوءة بحمدلة ، ومتبوعة بأوصاف المعهود اليه بالسلطنة ، ليدل ذلك (على عظم قدر النعمة) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ .

(٧) العصابة : (راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب ، عليها ألقاب السلطان واسمه) . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٨ .

(٨ ، ٩) السيف المرهف : المحدد الرقيق ، والرمح المثقف : الذى سوى . نبيل عبد العزيز : خزانة السلاح ، ص ٣١ ، ٣٧ .

(١٠) العابث : لاوى اليد .

والحمد لله ، الذى جعل أيامه سافرة عن وجه التهانى بأمارات السعادة تلوح ، وتوضح نوادر الأمثال غاية الوضوح ، ويعلم أن عبوق سعده سيعقبه نعم الفتوح ، وكفى شاهداً على ذلك ما ورد فى أول دولته من بشارات الفتوح [١١] .

والحمد لله ، الذى جعل شعار العدل فى أيام المؤيد ظاهراً ، وأقام له من دولته ناصراً قاهرا ، وجعل لسان الكون بحسن سيرته سابراً ، فله الحمد عوداً على بدء أولا وآخراً .

والحمد لله ، جاعل المستنجد بالله قائماً بأمره على من ثاواه [١٢] ، وكافى المتوكل عليه ما أهمه من أمر آخرته ودنياه ، فإليه نلجأ ، ومن لجأ إليه آواه ، وعليه فتوكل ، ومن توكل عليه كفاه ، وبه نستنصر ، ومن استنصر به أيده ، وفى [١٣] حماه حماه .

فالحمد الله ، الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى ، لولا أن هدانا الله .

والحمد لله ، رافع أهل البيت النبوى على هامى الكواكب ، وواضع مجدهم السرمدى من أعناق الفخار على الذرى والذوائب ، ومحلهم فى أعلى الأنساب وأشرف الذوائب ، من أنخر فخذ [١٤] كعب بن لؤى بن غالب [١٥] .

---

(١١) يقصد كتاب جانبك الأبلق الذى وصل الى القاهرة من قبرس يخبر بالنصرة على أهل شرينة ، وعلى من حاول نجدتهم من الفرنج ، وأخذه بالحصر عدة أبراج من قلعة باف بجنوب قبرس · راجع ــ مثلا ــ ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٦ ، ص٢٢٤، سنة ٨٦٥ هـ ·

(١٢) ثاواه : نازعه ·

(١٣) مكررة فى الاصل مرتين ·

(١٤) الفخذ : (ج أفخاذ) ما انقسم فيه أنساب البطن · راجع ــ مثلا ــ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣٠٦ ·

(١٥) عن عمود النسب النبوى ، راجع ــ مثلا ــ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣٠٦ ، هذا وجملة : (ومحلهم ··· بن غالب) واردة على الجانب الايمن من ورقة المخطوطة ·

نحمده ، على أن ملك منا أحمد المسالك ، وشرف سلطاننا [١٢٣٥] على سلاطين الأرض ، ومملكتنا على سائر الممالك ، ونشكره على النجاة بأحمد من[١٥ م] ، كما جعل من أمته طائفة قائمة بأمره ، ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ، وهم على ذلك .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده ، لاشريك له ، إله حكم فعدل ، ورب جعل ما ظهر من الكواكب عوضاً عن ما أفل ، ونقل إلى الأسرة خير خلف عن من إلى رحمته انتقل ، ومن على عباده عمن سلف بأحسن بدل .

ونشهد أن سيد البشر ، محمداً عبده ورسوله ، الذى بعثه للعالمين رحمة ، وجعل سيوفه المرهفة على الظالمين نقمة .

وبلغ ملك أمته ما أزدى له من المشارق والمغارب ، وأظهر على يديه من المعجزات خوارق العجائب ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأزواجه النجباء والنجائب ، ماطلع صبح ودجى جنح ، وأعقب الأضواء بالغياهب ، وسلم تسليماً كثيرا .

ولما كان أجر القيام بالإمامة العظمى أعظم الأجور ، وبتدبير الممالك الإسلامية صلاح الأمور ، وجب أن يختار للسلطنة المعظمة من الملوك أعظمهم ، ومن السلاطين أعرفهم بالمهمات وأعلمهم ، وللآراء المسددة من هو أبو عدرتها[١٦] وابن نجدتها ، والحروب من نشأ فى حجرها وهو أخو نجدتها ، ومن إذا التفت مضايق الخصوم بشجاعته فرقها ، وإذا اجتمعت كتائب الهموم ببسالته مزقها ، وخضعت لبأسه وحكمه الأكاسرة من

(١٥ م) فى هذا المكان كلمة لم يتبق منها غير حرف (بـ ...)

(١٦) العدرة : الجراة والاقدام .

الملوك ، وسلك فى عنفوان شبابه مايعجز المشايخ من حسن السلوك [٢٣٥ ب] ، وأيده الله بنصره ، ورد كيد عدوه فى نحره ، وأرغم بما ظهر من عدله ، أنف من يناوئه ، فيحق لمحبه الداعى ببقاء دولته ، أن يقول فيه :

أيا ملكا بالعـــدل أصبح ظاهراً
وخادمه النصر العزيز المجــدد

وأمسى بأفق الملك بدراً مـكملا
وأضحى شهـابا بالسما يتوقــد

ليقبل إقبـــال ، وملك مخلد
وسعـد وإسعاد ، وعز مؤيد

وإنك منصور ، لك الله ناصر
عدوك مقهور وضدك مقيد[١٧]

وكم شهد الأعـداء أبوار غـدرهم
[١٨] إن الفتح المبين مؤيد[١٩]

فلذلك[٢٠] ، روى أمير المؤمنين فكره الصائب ، ولم يزل يعمل رأيه الثاقب ، ويراجع علماء الدين وقضاته ، وملوك الإسلام وحماته ، فيمن يصلح لهذا النبأ العظيم ، ومن يقوم بأعباء هذا الخطب الجسيم ، وذلك حين ثقل

---

(١٧) لعلها كذلك ، فالكلمة غير واضحة ، هذا ، وجملة (وانك منصور ... مقيد) واردة على الجانب الايسر من الورقة ٠

(١٨) فى هذا المكان كلمة مطموسة ٠

(١٩) هذا البيت ، وارد فى أعلى الورقة ٠

(٢٠) بداية الاشارة الى اجتهاد الخليفة ٠ واعمال فكره ، وانه لم يجد خيرا من المعهود اليه ، وصفاته الجميلة ، وثناؤه عليه ٠ وهى من سمن أصول كتابة العهود بالسلطنة ٠ كذا راجع : القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٩ ، ص ٤٠٥ ٠

بالملك السعيد الشهيد الأشرف المرض ، ومن يحصل له به فى هذا العرض الغرض ، حتى اجتمعت الآراء السديدة ، من أهل الحل والعقد والأشارة ، بعد التدبر والتفـكر وتـكرار الاستخارة ، أنه لا يقوم بهذا المنصب ، ولا يصلح لهذا المقام إلا الشجاع الباسل ، والأسد الضرغام ، نجل السلاطين من الطرفين ، الجامع من الشجاعة والعلم بين الشرفين ، أسد الله فى أرضه فى هذا العصر ، السلطان المؤيد أبو الفتح بن الأشرف أبى النصر ، أيده الله بملائـكة سمواته ، وأنزل عليه النصر [٢٣٦ ا] العزيز من سائر جهاته ، واستخار الله — سبحانه وتعالى — مولانا أمير المؤمنين، المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ، ابن عم سيد المرسلين ، بعد أن انعقد الإجماع فى ذلك من غير خلاف ، وأكدت(٢١) الأيمان والمواثيق على الوفاء وعدم الأخلاف ، وعهد إليه بعهد الله وميثاقه ، وما أشهد به ملائـكته ، قدسه حيث قال جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ (٢٢) ﴾

وعقد له البيعة على جميع ما اقتضته خلافته ، وانتظم إمامته ، وفوض إليه أمر السلطنة المعظمة ، وجعل(٢٣) إليه الإشـــارة ،

(٢١) بداية الاشارة الى جريان لفظ ينعقد به العهد أو التفويض . وهى احدى الاصول التى كان يحافظ عليها كتاب العهود . وأنظر : القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٩ ، ص ٤٠٥ .

(٢٢) سورة الفتح ، اية (١٠) . هذا ، ويذكر القلقشندى : « صبح الاعشى ، جـ٩ ، ص ٢٧٣ » أن البيعة معناها : (المعاقدة والمعاهدة ، وهى مشبهة بالبيع الحقيقى ... كان كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره . ويقال ، بايعه وأعطاه صفقة يده . والاصل فى ذلك أنه كان من عادة العرب أنه اذا تبايع اثنان صفق بيده على يد صاحبه) كذا انظر : الخالدى : المقصد، ق ١٥٨ .

(٢٣) بداية ايراد ما يليق بالمقام السلطانى من الوصية ، وهى من ضمن الاصول التى كان يراعيها الكتاب فى ولاية العهود . كذا راجع : القلقشندى : صبح الاعشى، جـ٩ ، ص ٤٠٥ _ ٤٠٦ .

وله الكلمة بجميع الممالك الإسلامية على العصائب المحمدية بمشارق الأرض ومغاربها ، وحيث انتهت كلمة الإسلام بساحلها وغاربها ، والنظر فى أمر كفالها وقضاتها ، وأمرائها وولاتها ، فى جميع البلاد والأقطار ، وسائر المدن والأمصار ، والقلاع والثغور ، والسهول والوعور ، وحكمه فى العساكر والأجناد ، وصرفه فى الأرواح والأجساد ، والرقاب والنواصى ، والمعاقل والصياصى ، وجعل له النظر فى أمور جميع الأمة طرا[٢٤] بعداً وقرباً ، وشرقا وغربا ، وبرا وبحراً ، وهنداً ، وسندا ، وحجازا ويمنا ، وشآما ومصراً ، وأملى له فى ذلك محرراً ، وركن إليه فى باطن الملك وظاهره ، وعامر البقاع وغامره .

وولاه ماله الولاية عليه من ذاك ، وبسط يده الشريفة وأمره الغار ، [٢٣٦ ب] فى سائر الأقطار ، والممالك من العرب والعجم وجميع الملوك وسائرهم ، ينظر فى التولية والعزل بسائر ملوكها وعساكرها وجيوشها ، وأسودها وأحمرها من عربها وعجمها وتركها وزنجها وجيوشها ، وجميع أصنافها ، على اختلاف أجناسها ، وتباين أنواعها ، وتفرق أناسها ، وتجهيز الجيوش وإقامة الحدود ، وتقاليد الكفال ، والقضاة ، والوزراء ، والأمراء ، وكتابة العهود .

فوض إليه ذلك[٢٥] : تفويضاً[٢٦] كاملا ، تاما ، عاما ، شاملا ، سعيداً

---

(٢٤) طرا : جميعا .

(٢٥) المعروف أن ما يكتبه الخليفة فى بيت العلامة ، (فانه يكتب علامته ، وتحتها: فوضت اليه ذلك ، وكتب فلان بن فلان) أو من فلان ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) . القلقشندى ! صبح الاعشى ، ج ١٠ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٢٦) نوع التفويض .

مباركا . ولم يجعل له فى ذلك ظهيرا ، ولا مشاركا ، يقر من شاء منهم ويعزل ، ويصل أرزاقه بإذن الله ويفعل ، ويقلد الوظائف ويخرج الأقطاعات ، ويجند الجنود ويقرر المرتبات ، ويجاهد فى الله حق جهاده ، ويجادل من يرى مصلحته للمسلمين فى جلاده ، ويهادن ويفادى ، ويصالح ويعادى ، ويأن ويصفح ، ويعمل فى ذلك برأيه الشريف الأرجح .

وولاه ذلك ولاية صحيحة محكمة صريحة ، يتصرف فى ذلك بما أراه الله وبصره ، ويعمل بما يرجو[٢٧] ثوابه ، أيده الله ونصره ، وعول فى أمور الأسلام والمسلمين على سديد آرائه ، واعتمد على سعيد ابرامه وإمضائه ، عاملا فى ذلك بتقوى الله فيما فوض إليه ، معتمداً فى تنفيذ أحكام الله عليه ، من إقامة شعائر الشرع ورفع منار ، وإدانة الباطل ومحو آثاره ، وإنصاف المظلوم من ظالمه ، ورد العدل إلى أعلى معالمه [٢٣٧ أ] ، والأخذ على يد الظالم ، وأن لا يأخذه فى الله لومة لائم .

قبل ذلك[٢٨] ، مولانا السلطان الملك المؤيد ، أبو الفتح أحمد ، أعز الله به الإسلام ونصره ، من مولانا أمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر ، قبولا أقبلت التهانى بوصوله ، ووصلت المسرات إلى القلوب بوصوله .

وتم هذا العقد[٢٩] ، وشهد به مشايخ الإسلام ، وأعين المسلمين ، وانتظم هذا الأمر بحضرة الخاص والعام من وجوه الأمراء ، وسراة الموحدين وأشرق فى أفق السعادة نور بدر فى رابعه ، للعشر الثانى من شهره ، واعتاضت الأمة عن ضياء تلك الشمس بنور هذا القمر ، وكان لهم فى المسرة بمن بقى يسليه عمن غبر .

---

(٢٧) فى الاصل (يرجوا) .

(٢٨) قبول السلطان للعهد ولقبه من الخليفة فلان ولقبه .

(٢٩) تمام العقد والشهادة على السلطان .

مودت السلطنة الشريفة عن كلاله ، وأخذها عن أصالة ، من الطرفين أى أصالة ، موالده الأشرف ، وجده الظاهر ، وسلفه فى العلم[٣٠] والملك نعم السلف الطاهر ، ورفعت الأيدى بالدعاء له بالعمر الطويل ، مع البقاء فى الملك ، وهذا المنصب الجليل .

وقال خادم بابه العالى وباب أبيه ، فيما أنشده بحضرته الشريفة يهنيه :

أنت المؤيد صدقاً ، ووارث الملك حقا

بعمر الأشرف طبقا ، فى الملك تبقى وترقى[٣١]

[٢٣٧ ب] وهو سلطان بحمد الله ، قلدها سؤلا لا سائلا ، ومالت السلطنة إليه ، وما كان إليها سائلا ، وكان مخطوباً إليها ، لا خاطبا ، ومرغوباً إليه فى تقليدها ، لا راغباً ، فعطف رأفته إليها ، ورق قلبه إلى الدخول عليها ، ظفرت منه بأب[٣٢] كفو كريم ، وأنشد لسان الحال متمثلا بالقول القديم ، فلم تك تصلح إلا له ، ولم يك يصلح إلا لها ، ولو رام أحد غيره ، لزلزلت الأرض زلزالها ، والوصايا كثيرة ، وهو بحمد الله يعلمها ويعلمها ، وتقوى الله ملاك الأمور ، وما زال بتوفيق الله يلزمها وتلزمها .

فالله تعالى[٣٣] يزين باسمه الشريف أعداد المنابر ، ويشرق له بقلمه السعيد أنواء المحابر ، ويجعل العدل شعاره ، والجود دثاره ، ويجعل ببقائه

---

(٣٠) يذكر السخاوى : « الضوء ، جا ، ص ٢٤٦ » أن السلطان المؤيد أحمد ، قد تلفت (فى غالب أيام امرته الى العلماء واكرامه لهم وتفقدهم ، وميله لرقائق الاشعار ورقة طباعه وحسن عشرته) .

(٣١) فى الاصل (وترقا) .

(٣٢) فى الاصل (بابى) .

(٣٣) دعاء مؤمن .

أقاليم الملك وأمصاره ، ويرفع به الدين ويعز أنصاره ، ويمنع به الجور ويضع آماره ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة أوطاره ، ويحمل العمر الطويل فى الفردوس الأعلى داره .

آمين ، آمين ، آمين

والحمد لله رب العالمين

[٢٣٨ ا] وكانت البيعة المباركة ، يوم الأربعاء ، رابع عشر جمادى الأولى ، سنة خمس وستين وثمانى مائة ، بقبة الدهيشة الشريفة(٣٤).

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلواته على أشرف خلقه ، سيدنا محمد ، وآله وصحبه ، وسلم تسليماً .

ولهما أبدا .

---

(٣٤) هذه الاشارة توضح لنا أحد الاغراض التى استغلت فيها تلك القاعة . ذلك ان المقريزى يذكر أن الفراغ من بناء تلك القاعة كان فى سنة (٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م) ، وأن السلطان الصالح اسماعيل قد صرف عليها أيضا أموالا طائلة ، ومع ذلك ، فمنذ (فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد ، لشغفه بالغناء والجوارى) السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٦٥٣ ، سنة ٧٤٤ هـ ، ص ٦٧٩ ، سنة ٧٤٦ هـ . كذا انظر : نبيل عبد العزيز : الطرب والاته ، ص ٧٠ ، (حاشية رقم ٣٢٨) .

ثالثا ـ دراسة حول منهج كتابة عهد السلطان المؤيد أحمد

فبالإضافة إلى ماسبق توضيحه فى حواشى العهد من أصول إنشائية مصطلح عليها ، فإن كتابة عهد هذا السلطان ، قد جرت — فى بعض جوانبها — وفق مذهب إنشائى جديد .

بمعنى أن هناك منهجاً قد استجد على كتابة عهود سلاطين المماليك الجراكسة بعد سنة (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) .

فالمعروف أن كتابة عهود السلطنة كانت تبدأ (بكتابة الطرة فى أعلى الدرج من أول عرض الورق[١] إلى آخره سطوراً متلاصقة من غير هامش ، وفى أعلاه قدر إصبع بياضاً ، ثم يترك ستة أوصال بياضاً من غير الوصل الذى فيه الطرة ، ثم تكتب البسملة فى أول الوصل الثامن ، بحيث تكون ألفاتها تكاد تلحق بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن يمين الدرج قدر أربعة أصابع مطبوقة أو خمسة ، ثم يكتب سطراً من أول العهد تحت البسملة ملاصقاً لها بحيث تكاد ألفاته تلحق بالبسملة ، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر ، ثم يكتب السطر الثانى من العهد على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسل فى كتابة بقية العهد . . . وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم

---

(١) هو الورق البغدادى الكامل ، الذى عرض درجه ذراع واحد بذراع القماش المصرى أو ثلاثة اشبار وخمسة أصابع . ويطول الوصل كذلك . أما القلم الذى كتبت به عهود السلطنة ، فالطومار ، لمناسبته لها ، أنظر : الخالدى : المقصد الرفيع . ق ١٧٧ ـ ١٧٨ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص ٥٥ ، ص ١٥٤ ، جـ٦ ، ص ١٩٠ ، جـ١٠ ، ص ١٥٣ .

التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبلة[٢]) .

أما طرة عهد السلطان المؤيد أحمد ، فقد وردت بعد البسملة .

هذا ، وإذا كانت هذه الطرة قد افتتحت — وليس فى ذلك بجديد — بلفظ : (هذا عهد شريف ... ، من عبد الله ووليه ، وابن عم رسوله المصطفى وصفيه : المستنجد بالله أمير المؤمنين ... إلى : مولانا السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد بن السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف أبى النصر أينال) ، ثم جرت خطبة إفتتحت بلفظة : (أما بعد) ، فإن الجديد فى مذهب كتابة عهد السلطان المؤيد أحمد ، هو أنه جرى فى آخره — بعد الدعاء المؤمن ثلاث مرات — حمدلة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم حسبلة ، ثم الصلاة على النبي محمد وعلى آله وصحبه ، ثم دعوة .

يضاف إلى ذلك ، أن للدعاء — بنص القلقشندى — ثلاثة مواضع فقط[٣] ، أما فى عهد سلطنة الملك المؤيد أحمد ، فخمس .

الموضع الأول :

فى طرة الولاية ، بعد ذكر ما يكتب فى الطرة من ألقاب السلطان ، والمصطلح ، ألا تزاد الدعوات فيها عن دعوة واحدة[٤] .

أما فى طرة السلطان المؤيد أحمد ، فجرت دعوة للخليفة ، نصها : (أعز الله ببقائه الدين) ، ثم أخرى للسلطان ، ونصها : (فتح الله له شرق الممالك وغربها ، وألان لطاعته الشريفة شديدها ، وأدال لدولته صعبها) .

---

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ١٠ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ، وعن صورة وضعه فى الورق ، أنظره ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٣ ، ٤) نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢٦٩ .

الموضع الثانى :

فى أثناء ولاية السلطنة بعد استيفاء الألقاب وذكر الإسم ، (وهو ما فى الطرة من الدعوة المناسبة له بغير زائد على ذلك)[٥] .

ونص دعوة السلطان المؤيد ، هى : (أيده الله بملائكة سمواته ، وأنزل عليه النصر العزيز من سائر جهاته) .

الموضع الثالث :

(فى آخر الولاية بالإعانة ونحوها .. وأقلها دعوتان وأكثرها أربع)[٦] .

ونص الدعوة فى عهد السلطان المؤيد أحمد : (فالله تعالى يزين باسمه الشريف أعداد المنابر ، ويشرق له بقلمه السعيد أفواه المحابر ، ويجعل لعدل شعاره ، والجود دثاره ، ويجمل ببقائه أقاليم الملك وأمصاره ، ويرفع به الدين ويعز أنصاره ، ويمنع به الجور ويضع آماره ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة أوطاره ، ويجعل العمر الطويل فى الفردوس الأعلى داره . آمين ، آمين ، آمين) .

الموضع الرابع :

— وهو جديد — بعد الولاية وقبل قبول السلطان ، ونصها : (أيده الله ونصره) .

الموضع الخامس :

— وهو جديد أيضاً — فى ختام العهد ، ونصها : (وليها أبداً) .

(٥ ، ٦) انظر مرجع الحاشية السابقة .

المراجع

أولا ـ المخطوطات .

ـ الخالدى (بهاء الدين محمد العمرى) :

المقصد الرفيع المنشا الهادى إلى صناعة الأنشا .

(مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم (٢٤٠٤٥) تاريخ) .

ثانيا ـ المصادر المطبوعة .

ـ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق :

محمد مصطفى

(مصر ١٩٣٢ هـ / ١٩٧٦ م) .

ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

جـ ١٦ تحقيق : جمال الدين الشيال ، وفهيم محمد شلتوت

(مصر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م) .

ـ ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى) :

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تحقيق :

بولس راويس

(باريس ١٨٩٤) .

— السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (مصر ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م)

— العبر المسبوك فى ذيل السلوك (ط : مصر) .

— السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن) :

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق :

محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م)

— القلقشندى (أبى العباس أحمد بن على) :

صبح الأعشى فى صناعة الأنشا

(مصر ١٩١٣ — ١٩٢٨) .

— المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

— السلوك لمعرفة دول الملوك .

جـ ٢ ، ق ٣ تحقيق : محمد مصطفى زيادة

(مصر ١٩٥٨) .

المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار .

(مصر ١٢٧٠ هـ) .

ثالثا ـ المؤلفات الحديثة :

— نبيل محمد عبد العزيز :

— الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك

(مصر ١٩٧٦) .

— خزانة السلاح ، مع دراسة .

عن خزائن السلاح ومحتوياتها فى عصر الأيوبيين والمماليك .

(مصر ١٩٧٨) .

— الطرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمماليك

(مصر ١٩٨٠) .

محتويات الكتاب